السلفيون والشيعة

نحو علاقة أفضل

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾

سورة النحل، آية ١٢٥

حسن الصفار

السلفيون والشيعة
نحو علاقة أفضل

مؤسسة العارف للمطبوعات

اسم الكتاب: السلفيون والشيعة

تأليـف: الشيخ حسن الصفار

القطـع: ١٤×٢٠ سم

الصفحات: ٨٠ صفحة

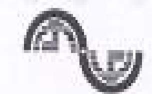
تنضـيد واخراج : محمد آل عكلة

الغلاف : محمد آل عكلة

الطبعة الثانية

١٤٢٦هـ - 2005م

الناشر



مؤسسة العارف للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب: 106/24

TLF:00961 1 54 33 59

++ 3 54 84 03

العراق - النجف الاشرف / الميدان

TEL:00964 33 37 06 36

Email:arefli@hotmail.com

اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

مقدمة

ربما يستبعد كثيرون إمكانية تحسّن العلاقة بين السلفيين والشيعة، لما بين الطرفين من اختلاف وتضاد في مسائل عقدية حساسة، ولوجود تاريخ مثقل بالمشاحنات بينهما، ولأن من طبيعة المدرسة السلفية الصرامة والتشدد فيما تراه خلافاً عقدياً. ليس تجاه الشيعة فقط بل حتى داخل دائرة أهل السنة.

لكني أشعر بدرجة من الأمل والتفاؤل على هذا الصعيد، فهناك تطور فكري ثقافي ملحوظ عند مختلف الأطراف الإسلامية، يجعلها أقرب إلى القبول بوجود الرأي الآخر، والتعامل معه، مهما كانت درجة الاختلاف والتباين، مع التزام كل طرف بثوابته وقناعاته.

كما أن ضخامة التحديات التي تواجهها الأمة، يُفترض أن تدفع الواعين من الطرفين لتجميد الخلافات على الأقل، إن لم يكن تجاوزها.

ومن خلال لقاءاتي وعلاقاتي مع عدد من العلماء والدعاة والمثقفين من الإخوة السلفيين، لمست بوادر طيبة بهذا الاتجاه، تنبع من حرصهم على مصلحة الدين والوطن، ووعيهم بالأخطار المحدقة، التي تستهدف الجميع.

وفي الوسط الشيعي، هناك استعداد وترحيب عند أكثرية العلماء والواعين، بأي خطوة تخدم الوحدة والتقارب، وتساعد على خلق أجواء التآلف والوئام.

وما تحتاجه الساحة هو المبادرات المخلصة الجريئة، التي تتجاوز ضغوط بعض القوى المتشددة في الجانبين، هذه القوى التي قد تلجأ لتحريك عواطف الجمهور ومشاعره، بمختلف العناوين، لعرقلة حركة الوحدة والتقارب، واتهام المصلحين بالتخلي عن الثوابت، والتنازل عن المعتقدات..

إن جمهور الأمة اليوم مهيأ أكثر من أي وقت مضى للاستجابة لدعوات الوحدة، والالتفاف حول المصلحين الواعين، شريطة صمودهم واستقامتهم أمام الضغوط، وبذلهم الجهود الكافية لبث الوعي السليم والثقافة الصحيحة.

هذا ما أشعر به وأراه، وأسعى بتوفيق الله تعالى لتحقيقه وتجسيده على ساحة الأمة والوطن، بالتعاون مع جميع المخلصين والواعين. ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلاَّ بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾.

حسن الصفار

القطيف

٢٤ ذو القعدة ١٤٢٤هـ

١٦ يناير ٢٠٠٤م

مدخل

شهد تاريخنا الإسلامي الطويل الكثير من المعارك والنزاعات الفكرية والمذهبية. والتي أحدثت شروخاً في السلم المجتمعي، وأوجدت نوعاً من الاحتراب الأهلي، وكان العامل السياسي وراء قسم كبير منها، حيث كانت بعض القوى الداخلية والخارجية، تغذي هذه الصراعات وتدفع باتجاهها لإشغال جمهور الأمة عن قضاياهم الأساسية، ولاستنزاف قواهم فيما بينهم، حتى لا يتحدوا مقابل تلك القوى المهيمنة، أو الراغبة في التسلط.

وكان التعصب المذهبي، بما يعني من سعي لفرض الرأي، ورفض للرأي الآخر، هو الأرضية لتلك النزاعات والصراعات.

أما تعدد المذاهب، واختلاف الآراء، فتلك حالة طبيعية لا مناص منها، ولا ضير فيها، ما لم يصحبها التعصب البغيض، وممارسة الاستبداد والإرهاب الفكري.

وقد تعافت أمتنا الإسلامية من كثير من جراحات الخصام الفكري والمذهبي، التي أصابت كيانها في غابر التاريخ، كالصراع بين الجبرية والقدرية، وبين المرجئة ومخالفيهم، وبين الأشاعرة والمعتزلة، وما نتج عنها من نزاع حول خلق القرآن أو قدمه، وكذلك النزاعات بين المذاهب الفقهية، كالخلاف بين الأحناف والشافعية، وبين الحنابلة والأحناف، وبين الشافعية والحنابلة.

هذه الصراعات التي كانت حادة في قرون سابقة، تجاوزتها الأمة، وأصبحت مجرد حوادث وذكريات في التاريخ، وآراء ومسائل في الكتب، لها بعض الآثار الفكرية والاجتماعية في الامتدادات الحاضرة لتلك المذاهب والمدارس، لكنها لا تشكل الآن فرزاً حاداً ولا خلافاً متشنجاً.

وبقى الخلاف السني الشيعي كأوسع ثغرة في جدار وحدة الأمة الإسلامية، تنفذ منه رياح الفتن، وتتسلل مطامع الأعداء ومؤامراتهم.

وقد تحرك العلماء المصلحون من السنة والشيعة مطلع هذا القرن، لسدّ هذه الثغرة الخطيرة المتبقية من ثغرات الخلافات الكلامية والفقهية.

وكان من مظاهر هذا التحرك الإصلاحي تأسيس دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة في الخمسينيات، وإنتاج خطاب وحدوي يؤكد على القواسم المشتركة، ويحرر محل النزاع ضمن إطار الخلاف الاجتهادي عقدياً وفقهياً.

وبفضل ذلك التحرك المبارك أمكن التخفيف من حدة الخلاف بين الفريقين بشكل عام، ونشأت علاقات إيجابية طيبة بين جهات واعية من الطرفين، بل حصل التعاون في مشاريع مشتركة لخدمة المصلحة العليا للأمة.

مما عزز الأمل بإمكانية تجاوز الأمة لهذه المشكلة في

هذا العصر، ليس على أساس تنازل أحد الطرفين عن شيء من قناعاته للآخر، وإنما على أساس الضوابط التالية:

١. الإقرار بجامعية الإسلام للطرفين.

٢. الاحترام المتبادل.

٣. اعتماد نهج الحوار في قضايا الخلاف.

٤. تفعيل التعاون في خدمة المصلحة العامة للإسلام والمسلمين.

لكن بعض البؤر الساخنة على خط الخلاف السني الشيعي، أربكت هذه المسيرة، وأضعفت حركتها، وفي طليعة هذه البؤر: التشنج القائم في العلاقة بين السلفيين والشيعة.

فالمدرسة السلفية تمثل تياراً نشطاً في أوساط أهل السنة، تتوفر له أضخم الإمكانيات، وإن لم يكن هو الأوسع رقعة، والأكثر أتباعاً من بين سائر التيارات السنيّة.

ويمتاز هذا التيار غالباً بالصرامة في الموقف تجاه الرأي الآخر، حتى ضمن دائرة السنة، وخاصة فيما يرتبط بالقضايا العقدية، لذلك كان معارضاً لدعوة التقارب والتقريب بين السنة والشيعة.وقد نشر الدكتور ناصر بن عبدالله الغفاري مؤخراً دراسة حول (مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة) تقع في مجلدين، وطبعت أكثر من مرة في المملكة العربية السعودية انتهى فيها إلى أن «دعوة التقريب هي البدعة الكبرى التي أرادت أن تعطي الكفر والضلال والإلحاد صفة الشرعية واسم الإسلام، وقد سببت دعوة التقريب خسارة كبرى لأهل السنة، وضرراً كبيراً لا يتصوره إلا من وقف على عدد القبائل التي ترفضت بجملتها، فضلاً عن الأفراد......»[1].

وهو كلام غريب يكشف عن أن سبب معارضة التقارب هو الخوف من تأثير الشيعة على جمهور أهل

---

(١)القفاري: الدكتور ناصر بن عبد الله بن علي، مسألة التقريب بين أهل السنة والشيعة، القسم الثاني ص٢٧٨، الطبعة السادسة ١٤٢٠هـ، دار طيبة، الرياض.

السنة، ولماذا لا يحصل العكس؟! فالأقليات هي التي تخشى عادة من الذوبان في محيط الأكثرية إن لم تحصّن نفسها بأسوار العزلة والانغلاق.

وقبل أربعة عقود تقريباً، عند بداية تأسيس دار التقريب نشر إبراهيم السليمان الجبهان، كتاباً عنيفاً ضد مسألة التقريب بين السنة والشيعة تحت عنوان (تبديد الظلام وتنبيه النيام) وصل فيه إلى حد التجريح في أئمة أهل البيت عليهم السلام، حيث يقول في مقدمة كتابه: «لقد قرنت اسم جعفر بن محمد، بعلامة استفهام في غير موضع، تصحيحاً للخطأ الشائع الذي وقع فيه كثير من أرباب التصانيف، بإلصاقهم كلمة الصادق باسم المذكور، وجعلها لقباً له، وعلماً عليه. والواقع أن هذه التسمية، أو بالأصح هذه التزكية، ما كان ينبغي أن تطلق على شخص حامت حوله الشبهات، وكثرت فيه الأقاويل، ونسبت إليه أقوال مشحونة بالزندقة والإلحاد..»[٢].

---

(٢)الجبهان: إبراهيم السليمان، تبديد الظلام وتنبيه النيام ج١ ص٨.

بالطبع فإن هذا الكلام لا يرضى به السلفيون، ولا أي مسلم، وهو يعبّر عن غلو وتطرف شخصي.

في المقابل هناك ردّ فعل شيعي عنيف، تمثل في صدور عدد من الكتب والمطبوعات، التي تهاجم الاتجاه السلفي تحت عنوان (الوهابية) وهي تسمية لا يرتضيها السلفيون لأنفسهم.

هل تتحسن العلاقة؟

لا شك أن هناك وضعاً خطيراً تواجهه الأمة الإسلامية في هذا المقطع الزمني، لا نظير له فيما سبق من تاريخها، والتيار السلفي هو في قلب دائرة هذا الوضع الخطير، باعتباره جزءاً من الأمة، ولأن بعض الممارسات والمواقف المنسوبة إليه، هي التي أنتجت هذه التداعيات الخطيرة، مما جعله في طليعة المستهدفين، دولياً وإقليمياً.

هذه المعادلة ألا تستدعي من هذا التيار إعادة النظر في علاقاته ومواقفه من سائر الأطراف والجهات في ساحة الأمة؟

إن مما لا يشك فيه عاقل أن حال التشنج والنزاع داخل الأمة، يضعف قدرتها على مواجهة التحديات

العاصفة، كما يتيح الفرصة للأعداء كي يلعبوا بأوراق هذا النزاع، لذلك فإن مدّ يد التعاون والتحالف من قبل السلفيين للأطراف الإسلامية الأخرى، هو من أوليات ما يدعو إليه العقل والشرع، وإلا فإنهم يتحملون مسؤولية المضاعفات السلبية لواقع الخلاف القائم.

أليس من المثير للدهشة والاستغراب أن نرى تسارع خطوات التقارب والتنسيق بين اليهود والمسيحيين، وهم أهل ديانتين متناقضتين متصارعتين، بينهم خلاف عقدي عميق، وصراع تاريخي طويل، لكنهم يتجاوزون كل ذلك، ويتعاونون تجاه ما يرونه خطراً مشتركا، بينما نعجز نحن المسلمين عن تجاوز خلافاتنا، والاقتراب من بعضنا، ونحن أهل دين واحد، ونبي واحد، وبيننا هذا القدر الكبير من الجوامع والقواسم المشتركة، ونواجه التحديات والأخطار العاصفة؟!

ومن أواخر أنباء التقارب بين اليهود والمسيحيين: ما تناقلته الصحف ووكالات الأنباء عن (الندوة الدولية للكرادلة الكاثوليك وزعماء اليهود) والتي انعقدت في نيويورك لمدة يومين، حيث التقت مجموعة من نحو عشرة

كرادلة كاثوليك، وستة حاخامات يهود، ومجموعة من الأوربيين والأميركيين والإسرائيليين، وتعهدوا بالوقوف في وجه العداء للسامية المتصاعد في أوربا. أي مواجهة الإدانة للاحتلال والإجرام الإسرائيلي، وقد وصف مشاركون هذه المحادثات بين الكرادلة والحاخامات، بأنها الأرفع من نوعها في تاريخ العلاقات المضطرب بين الجانبين، وأنهم حددوا طرقاً لتعزيز التفاهم الديني بعد أيام من لقاء البابا في اجتماع رسمي مع أكبر حاخامين إسرائيليين في روما.

وعقد هذا الاجتماع النادر برعاية المؤتمر اليهودي العالمي الذي يسعى إلى التقريب بين اليهود والمسيحيين، ويأتي الاجتماع للبناء على الروابط التي أسسها البابا يوحنا بولس الثاني خلال ٢٥ عاماً.

وأشار القس الفرنسي والناطق باسم الوفد الكاثوليكي (باتريك ديبوا) إلى أن مستوى المحادثات لم يكن مسبوقاً.

وقال نائب المدير التنفيذي للمؤتمر اليهودي العالمي (ايلان شتاينبرغ): يحتمل أن يكون هذا أرفع حوار يتم بين كاثوليك ويهود على الإطلاق.

و قررت المجموعة أن تلتقي في قارات مختلفة في السنوات المقبلة. وتعهدت بتشجيع الحوار بين المجتمعات الكاثوليكية و اليهودية المحلية[٣].

هكذا يتحرك الآخرون ويبادرون للتحالف والتعاون بينما نفتقد نحن المسلمين الإرادة الواعية الكافية لتجاوز الخلافات والصراعات. مع شدة حاجتنا إلى ذلك.

وبغض النظر عن هذا الجانب السياسي، والمصلحة (التكتيكية) التي يقتضيها الظرف القائم، فإن مسألة الموقف من الرأي الآخر، قضية تستحق إعادة النظر والمراجعة، من قبل الإخوة السلفيين، حكماً وموضوعاً.

فالمرجعية الثابتة هي الكتاب والسنة، أما آراء فقهاء السلف كالشيخ ابن تيمية وغيره فهي مع الاحترام لهم،

---

(٣) الحياة: جريدة يومية/ لندن ٢٢ / ١ /٢٠٠٤م.

اجتهادات قابلة للأخذ والردّ، ولعل المراجعة المباشرة لنصوص الكتاب والسنة، من قبل العلماء والفضلاء السلفيين المعاصرين، تفتح أفقاً جديداً في تغيير وتعديل هذا الموقف الصارم من الرأي الآخر. هذا على مستوى الحكم.

أما على مستوى الموضوع، فبناء على أن الحكم على شيء فرع لتصوره، فإن أحكام العلماء السلفيين السابقين على الطوائف والاتجاهات الأخرى، ومن بينها الشيعة، جاءت نتيجة تصوراتهم وتقويماتهم، لواقع تلك الطوائف، واحتمال الخلل في تلك التصورات والتقويمات أمر وارد، إما لعدم الدقة في معرفة الطرف الآخر، أو للالتباس في فهم آرائه، أو للأخذ ببعض الآراء وتعميمها على الجميع، وقد تكون هناك آراء وتوجهات سائدة لديهم في تلك العصور لكنها تطورت وتغيرت فيما بعد، كل هذه الاحتمالات ينبغي أن تدفع المعاصرين من السلفيين، لقراءة واقع الشيعة القائم اليوم في آرائهم وتوجهاتهم.

فمثلاً كانت المدرسة السائدة عند علماء الشيعة في

عصور سابقة: هي المدرسة الإخبارية، والتي يرى أقطابها صحة ما ورد من أحاديث وروايات في الكتب الأربعة (الكافي للكليني ت ٣٢٩هـ، من لا يحضره الفقيه للصدوق ت ٣٨١هـ، التهذيب والاستبصار للشيخ الطوسي ت ٤٦٠هـ) لكن المدرسة الإخبارية قد انقرضت أو تقلصت إلى حد كبير، وأصبح الاتجاه السائد منذ ثلاثة قرون تقريباً هو المدرسة الأصولية، التي لا ترى قطعية صدور كل ما ورد في الكتب الأربعة، بل تخضع مروياتها للدراسة والنقد.

ومثال آخر يرتبط بما يأخذه السنة والسلفيون على الشيعة من الإساءة إلى الخلفاء الثلاثة، فإذا كان ذلك موجوداً في بعض كتب الشيعة وماضيهم وتراثهم، فإنه قد يكون ناتجاً عن الظروف التي كانوا يعيشونها آنذاك من القمع والاضطهاد، لكن الواقع الفعلي للشيعة بعيد عن مثل هذه الأمور، فالشيعة الإيرانيون مثلاً وقد أصبحت السلطة بيد علمائهم منذ ربع قرن، ودولتهم من أقوى دول المنطقة، إلا أن وسائل إعلامهم، وخطب جمعهم التي تبث على الهواء، وأحاديث قياداتهم، لم

يحصل فيها شيء من هذا القبيل، حتى في أوج ما عانوه من العدوان العراقي المدعوم من قبل أغلب الأنظمة العربية.

وكذلك الحال بالنسبة للشيعة في لبنان، وهم القوة الأبرز هناك، ومع النصر العظيم الذي حققوه على العدو الصهيوني، إلا أن وسائل إعلامهم كفضائية (المنار) لم يرصد عليها شيء من الإساءة إلى الخلفاء، وأجلاء الصحابة، وأمهات المؤمنين.

إن في ذلك دلالة واضحة على تجاوز واقع الشيعة المعاصر لمؤاخذات كانت تحسب على بعضهم في أزمنة غابرة.

وقد يكون هناك أفراد منهم متأثرون ببعض الآراء والمواقف السابقة، لكنهم لا يشكلون حالة عامة تبرر التنميط والتعميم.

كل هذه الحيثيات وأمثالها، تتطلب من فضلاء المدرسة السلفية المعاصرة، إعادة النظر والمراجعة في الموقف تجاه الشيعة، وسائر الطوائف الإسلامية، وتجاوز

حالة الغلو والتشدد تجاه الرأي الآخر، بما يخدم وحدة الأمة، ويتناسب مع سماحة الإسلام، وتحذيره من التكفير والظلم وسوء الظن في أحد من أهل القبلة.

نموذج علاقة بين سلفي وشيعي

إطلعت على كتاب جديد صدر هذا الشهر، للإمام الشيخ محمد مهدي شمس الدين رحمه الله (توفى ١٤٢١هـ) تحت عنوان (في الاجتماع المدني الإسلامي ـ أحكام الجوار في الشريعة الإسلامية)، وهو آخر كتاباته أثناء مرضه وتلقيه العلاج في باريس، قبيل وفاته. ولفت نظري فيه وجود مقدمة طويلة للكتاب (١٧ صفحة) بقلم الشيخ زهير الشاويش، تحدث فيها عن علاقته بالشيخ شمس الدين، وانطباعاته الإيجابية عن شخصيته.

ومعروف أن الشيخ شمس الدين من علماء الشيعة البارزين، وزعاماتهم وشخصياتهم الكبيرة، وكتاباته في أصول المذهب وفقهه وتاريخه، كثيرة متداولة، حيث كتب بحثاً ضافياً عن موضوع الخلافة والإمامة، وشرح وجهة

نظر الشيعة في النص على الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، والمؤهلات التي يمتازون بها من الأفضلية والعصمة، ضمن كتابه (نظام الحكم والإدارة في الإسلام) المطبوع سنة ١٣٧٤هـ وسنة ١٤١١هـ. كما كتب بحوثاً فقهية عديدة حول (الاجتهاد والتقليد) و (مسائل حرجة في فقه المرأة) و(الاحتكار) و(الجهاد) وله ثلاثة كتب مطبوعة حول ثورة الإمام الحسين عليه السلام، والشعائر التي يقيمها الشيعة كل عام في ذكرى استشهاده.

أريد القول: إنه عالم شيعي واضح في انتمائه، معلن لآرائه وأفكاره في أصول المذهب وفروعه وشعائره.

من جهة أخرى فإن فضيلة الشيخ زهير الشاويش، شخصية سلفية محترمة، ومن أواخر ما قرأت عنه ما نشرته جريدة الرياض (عدد ٣٨٩١ بتاريخ ١٤ شعبان ١٤٢٤هـ)، بقلم الأستاذ راشد بن محمد بن عساكر، تحت عنوان: (رحلة في مكتبة الشيخ زهير الشاويش الدمشقي أضخم مكتبة شخصية في العالم الإسلامي)، ومما جاء في المقال:

«لن أقدم شيئاً جديداً في التعريف بهذا العالم المحدّث بل الموسوعي الثقافة، وفضله على التراث الإسلامي، وتحقيقه وطبعه ونشره... حيث استفادت الأمة من إثراءات هذا العالم منذ أكثر من ستة عقود وما زال بحمد الله يقدم هذا العطاء، والدفاع عن عقيدة السلف الصالح حتى اليوم... تحتوي مكتبته على عدد ضخم من المخطوطات تتجاوز أربعة عشر ألف مخطوطة، بخلاف الكتب المطبوعة، والتي تعد من بواكير الطباعة العربية ويبلغ عمر بعض هذه الكتب مائتي عام..».

كما كتب عنه الأستاذ بدر بن علي بن طامي العتيبي، الداعية المتعاون مع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، في جريدة الرياض (عدد ١٢٩٢٩ بتاريخ ١٩ رمضان ١٤٢٤هـ) تحت عنوان: (الشيخ زهير الشاويش وحفظه للتراث الإسلامي الأصيل) ومما جاء في مقاله:

«العلامة المحدث الأثري المؤرخ الرحالة الشيخ زهير الشاويش اتصل بالعلماء المتقدمين برواية ما لهم من مؤلفات بالإسناد المتصل.. وله مكانة خاصة عند شيخنا

الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله تعالى... حتى صار شيخنا مرجعية علمية لمعرفة سير الكثير من علماء القرن المنصرم... حصلت له الإجازة الحديثية برواية الحديث النبوي ودواوين الإسلام عن جمع من العلماء يتعذر حصرهم».

هذا العالم الفاضل السلفي، تحدث عن علاقته بالشيخ شمس الدين، العالم البارز الشيعي، بما يصلح أن يكون نموذجاً للعلاقة الإيجابية الطيبة التي ينبغي أن تكون بين فضلاء وعلماء الجانبين، مع التزام كل منهما بأصول وثوابت مذهبه، شريطة الاعتدال والتزام خلق الإسلام.

ويعجبني أن أنقل بعض الفقرات والمشاهد، مما كتبه هذا الفاضل السلفي، عن علاقته بالإمام الشيعي.

مشاهد وانطباعات

مما كتبه الشيخ زهير الشاويش عن بعض مشاهداته وانطباعاته عن الشيخ محمد مهدي شمس الدين:

«أما بعد

فقد كتب الله لي مجاورة الشيخ محمد مهدي شمس الدين سنوات كثيرة، وأذكر منها بعض الحوادث الدالة على تمثله، في حياته التي كان يعيشها، لما جاء في كتابه هذا عن الجوار.

قبل أن يتم شراؤهم بناء المجلس الشيعي في الحازمية قرب بيتي، زارني مع سماحة الإمام السيد موسى الصدر ـ كان الله له ـ في داري، حيث شرفاني قبل عقد الشراء النهائي، لسؤالي عن الجوار وتعاملهم معي، والظن أنني على خلاف لما هم عليه.

وكان أن تم لهم شراء البيت، وتوثقت الصلة بيننا أكثر مما كانت عليه، على أحسن ما يكون الجوار.

واستمرت العلاقة والمشاورة، بل والتكرم والود منهما.

ولا يخفى أن سماحة الشيخ محمد مهدي ممثل المجلس الشيعي الإسلامي الأعلى في لبنان، أي أنه رئيس هذه الطائفة، ذات المذهب الجعفري الإثني عشري في المعتقد والفقه والروايات.. وذاك يتبع التطبيق العلمي والعملي لأتباع هذا المذهب، الذي أصبح مذهباً معتمداً فقهياً منذ أيام نشوء المذاهب الإسلامية الأخرى مثل: الأحناف، والمالكية، والشافعية، وبعدها مذهب الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمهم الله ـ.

وكنت أنا من أتباع الإمام أحمد معتقداً وفقهاً، وسلفياً بالعرف السائد، وأخيراً ملصقاً بشيخ الإسلام ابن تيمية، وبالشيخ محمد بن عبدالوهاب، أي المرمي بالوهابية، ومنشورات مكتبي الإسلامي أكثرها من هذا الاتجاه.

ومعنى ذلك أن يكون بيننا اختلاف قل أو كثر، وأن يكون بيننا تباعد ولو قليلاً، ولكن ـ والله يشهد ـ لم أجد منه يوماً معاتبةً، ولا مخالفةً، ولا مجادلةً، وما كان منه إلا الموافقة، أو التسليم لكل منا بما صح من مذهبه، وهذا كان من فضله وعلمه وسعة صدره.

وفي مرة كان يلقي كلمة في حفل جامع، والبحث متعلق بالعقائد: المعتزلة ـ والسلفية، وهما محل خلاف شديد، وعرض الخلاف وكأنه وفاق، ووجهات نظر محتملة، ولكل واحد أن يكون كما يشاء... ولا يحمل أحد على الآخر لا بالتكفير، ولا بالتفسيق، ولا بالتبديع! واستشهد بقول الشاعر أحمد شوقي: «واختلاف الرأي لا يفسد للود قضية».

وكنا معه بجلسة محاورة في مركز البيان الثقافي، وتحدث عن واجب المسلمين بالاتحاد وترك عوامل الفرقة، وقال:

كنت في باكستان، فوجدت في مكان جماعة من الشيعة، يضربون أنفسهم على الطريقة التي ما أنزل الله

بها من سلطان، حزناً على سيدنا الحسين.. وفي الشارع المقابل جماعة عندهم مأتم لسيدنا عثمان بن عفان.. وعلمت أنهم هكذا لمدة عشرة أيام، فطلبت من الشيخ أبي الحسن الندوي أن ينصح قومه، وأن يوصلني واحد إلى قومي لأقول لهم: لا عثمان يرضى، ولا الحسين يرضى بعملكم.

وخاطب الحضور: وأنتم يا شباب عليكم جميعاً، وأنتم جيل جديد، أن نبقى نعمل في سبيل الله. وهذا أخي زهير من أبناء جيلي يوافقني على قولي.

ومرة ثانية ذكر دولة بني عثمان وأثنى عليها وعلى خلفاء بني عثمان، ولاحظ جمود أكثر السامعين، لما يعلمون ما بين مذهبه ومذهب الدولة العثمانية من خلاف.

فتنبه وقال: ما لكم سكتُّم وكنتم تصفقون لكلام غير ذلك؟!.. حيوا دولة بني عثمان، الأتراك الذين كنا نجاورهم في دولة واحدة، ورحم الله الخلافة العثمانية، فإننا لم نصب بالذل إلا بعد ذهابها!! وصفق الحضور، وكانوا في لقاء كبير جداً.

وأنا أشهد أن هـذا الكـلام لا يـصدر إلا مـن رجـل وعي وتسامح، عالم بالـسياسة، وعلـى معرفـة تامـة بعـزة الخلافة، وبالوحدة الإسلامية. متمثلاً قول الخليفة الراشـد سيدنا علي بن أبي طالب: «لا بد من إمارة برَّة كانت أم فاجرة».

ثم عرض ما وصلت إليه بلادنا العربية من فرقة بعـد انتصار الحلفاء على تركيا.. وأين وصلت قـضية فلـسطين على الأخص، وأفاض في شرح مآسينا.

ومـرة تكـرم واتـصل بـي، وسـأل: هـل دعيـت إلى طهران؟

فقلت: لا! ولماذا؟

قال: هناك مؤتمر للوحـدة الإسـلامية، والتقريـب بـين أهل المذاهب، ودعي إليه عدد من إخواننا رجال الـسنة.. وأنت من أولى من يحضر..

فقلت: لو دعيت لأجبت..

قال: أنا لست الذي أتولى الدعوة له، ولكن سأتـصل بهم، مع أنـني علـى خـلاف معهـم، وأخـبرهم بما يجـب

عليهم عمله، وعلى الأخص أنه لا أحد يمكنه أن يتكلم في هذا المؤتمر بموضوع الاتفاق والاختلاف، أولى منك (هذا فضل منه لا أستحقه).

وفي اليوم الثاني زارنا المسؤولون عن المؤتمر، ودعوني، واعتذروا عن إغفالي أول الأمر، وحددوا لي الموضوع الذي يفضل أن أكتب فيه. وفعلاً كتبت بحثاً سريعاً.. وعرضته عليه.. ووافقني على كل ما كتبت..

وللشيخ شمس الدين اليد الطولى في تقريب البلاد الإسلامية من بعضها البعض، وقد لقى بعض العنت في مسعاه هذا، ولكن المثابرة منه (ومعه بعض الأفاضل) أثمرت نتائج طيبة، وعلى الأخص بين البلاد العربية، ودولة إيران الإسلامية.

وكذلك مواقفه في عقد الإلفة بين القوى الإسلامية والقومية والوطنية في كل البلاد العربية، وأذكر بأن العديد من اللقاءات والمؤتمرات لم تعمل إلا بتوجيه منه، وبالمساعدة التي قدمها لهم، حتى المادية منها.

وقد سمعت من المنسق العام للمؤتمر القومي الإسلامي الأخ الدكتور أحمد صدقي الدجاني، والأمين المساعد الأخ الدكتور محمد سليم العوا، ومن غيرهما الشيء الكثير عن مجهوداته الخفية.

ولا ننسى مساعيه لدى عدد من الدول العربية، للتوافق بين تلك الحكومات والمنظمات الإسلامية والقومية والوطنية في بلادها، أو تخفيف العنف عنها ومنها، وأما فيما يخص الأفراد ورفع الحيف عنهم فحدث عنه ولا حرج.

ومالي لا أذكر أن الشيخ محمد مهدي شمس الدين لم يحمل بندقية يقابل بها أبناء وطنه وجيرانه، طوال تلك الفتنة التي استمرت ما يقرب من عقدين، وذلك تطبيقاً علمياً وعملياً منه لكل ما جاء في كتابه هذا.

ومساعيه بين القوى الفاعلة دينياً في كل البلاد وعلى الأخص في سورية، ولبنان، ومصر مشهورة معروفة.

وقد شهد له بذلك جواره من النصارى والمسلمين..

وكانت اللقاءات بينهم الأمر الأول في تهدئة أحوال البلد، وحتى أيام الطائف، بعد تلك الفتنة العمياء التي أثارها المغرضون والملحدون، ومن لا يعلمون.

وأكبر تأكيد لذلك قيام كبار رجالات الديانات الأخرى بزيارته أيام مرضه.. والتعزية بالعاطفة الجياشة الكريمة به بعد وفاته لكل المسلمين، وليس لعائلته أو مذهبه، لأن الخسارة به كانت لهم جميعاً.

وقد أقيم العزاء فيه بدار الإفتاء السنية، وتلقى سماحة مفتي الجمهورية الدكتور محمد رشيد القباني ومعه العلماء العزاء فيه.

ومن أخبار انفتاح الشيخ شمس الدين: تأسيسه الجامعة الإسلامية التي جعلها مفتوحة أمام الطلاب من كل المذاهب الإسلامية، ومن المذاهب المسيحية.. وجعل مجلس إدارتها ومدرسيها كذلك من مختلف المذاهب، وأهم من ذلك، فقد جعل مناهجها غير ملتزمة بمذهب معين. ولما راجعه طلاب السُّنة ـ الذين ينامون في الجامعة

ـ في رمضان، بشأن إقامة صلاة التراويح، قال لهم: نحن لا نصلي التراويح! ولكن عليكم أن تجتمعوا لها ويؤمكم أحدكم.. وهكذا كان، وقد سمعت هذا منه ومن الطلاب.

كما أذكر مروءة الشيخ شمس الدين، فقد كنت عنده وجاءته مجموعة يشكون إليه ظلماً وقع عليهم وأرهقهم.. فما أن سمع أوائل شكواهم حتى أتصل بالهاتف مع جهة لا أعرف من هي، ولكن اتضح من الكلام أنها تملك رفع الظلم عنهم، وفي أثناء الحديث قال لتلك الجهة ـ شبه مغضب ـ: أنا أجعلهم ضمن عبائتي فإنهم جيراني، وأنت تصرف بما تراه مناسباً بوجهة نظرك! وأغلق الهاتف.

وما هي إلا دقائق حتى جاء اتصال هاتفي، وظهر أنه من الجهة التي كان يخابرها.. وبعد كلام غير طويل، قال للذين اشتكوا له: اذهبوا لقد اتصل الظالمون.. ورفعوا الظلم عنكم!! واشكروا الله سبحانه.

وأريد أن أقول بأن المشتكين إليه لم يكونوا من مذهبه،

ولعله لا يعرف كل أفرادهم!! ولكنهم من جوار بيته عندما سكن تجاه جامع السلام في بيروت الغربية.

وأختم أمثلة هذا التمهيد: بأنني على طول عشرتي لسماحة الشيخ محمد مهدي، ما شاهدته إلا مبتسماً أو منبسط أسارير الوجه، وإذا غضب لا يتجاوز غضبه كلمات قليلة جداً، ويعود بعدها إلى الانبساط.

ولم أجد منه مع أحد من جواره ـ قربوا أو بعدوا ـ إلا حسن التعامل، ولو كانوا على خلاف معه ديني أو دنيوي، بل وجدت كل من عرفه يتعامل معه كما قال سيدنا علي رضي الله عنه: «من لانت كلمته وجبت محبته».

رحم الله الإمام العلامة الشيخ محمد مهدي شمس الدين رحمة واسعة، وغفر لنا وله، وإن لله ما أخذ، وله ما أعطى، وكل شيء عنده بأجل مسمى، وإنا لله وإنا إليه راجعون».[٤]

---

(٤) شمس الدين: محمد مهدي، في الاجتماع المدني الإسلامي ـ أحكام الجوار في الشريعة الإسلامية، ص١٤ـ٢٩، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٤م، مؤسسة الإمام شمس الدين للحوار، بيروت.

بقي أن أشير إلى أن هـذه الإيجابيـة في أخـلاق الـشيخ شمس الدين تجاه جـاره الـشيخ الـسلفي، لا يبـدو لهـا أي تفسير مصلحي، أو غرض دنيوي، فهو في موقـع الزعامـة لطائفـة مـن أكـبر الطوائـف في لبنـان، والـشيخ زهـير الشاويش رجل بحث وعلم، ليس له موقعية سياسية تجعله في موقـع مـن يُخـاف أو يُرجـى، مـن قبـل الـشيخ شمـس الدين.

ولبنان بلد يتمتع مواطنوه بالحرية الدينيـة، ولا يـضطر فيه أحد إلى الكتمان والتقية، فإيجابية الشيخ شمس الـدين نابعة من وعيه وتمثله لقيم الإسلام وأخلاقه.

كمـا أن إيجابيـة الـشيخ زهـير الـشاويش في الكتابـة والحـديث عـن الـشيخ شمـس الـدين، لا تفـسير لهـا إلا الإنصاف والعدل والوفاء، جزاه الله خيراً.

لا بديل عن التعايش

مهما كانت إشكاليات السلفيين على الشيعة، وإشكاليات الشيعة على السلفيين، فإن الجميع يعيشون في منطقة واحدة، ولا يستطيع أحد الطرفين إبادة الآخر، ولا أظن أنه يفكر في ذلك، وهم جميعاً أهل هذه الأرض، وأبناء ترابها، لا يحق لأحدهما المزايدة على الآخر في الأصالة وعمق الانتماء.

أما المراهنة على تغيير المعتقدات والقناعات بالترغيب أو الترهيب، فقد ثبت فشلها، حيث كان التيار السلفي في أوج القدرة والنفوذ، وتوفرت له الإمكانات المالية الضخمة، وخاصة أثناء الطفرة الاقتصادية، وواتته الظروف الدولية والإقليمية، أيام الحرب الباردة،

ومواجهة الأمريكيين والغربيين للمعسكر الشرقي، وخاصة أثناء الجهاد الأفغاني. بينما كان الشيعة في موقع المحاصرة والاستهداف، دولياً وإقليمياً، كما هو معروف.

فهل استطاع السلفيون مع كل نفوذهم وتأثيرهم على مناهج التعليم ووسائل الإعلام، ومختلف الأجهزة والمؤسسات أن يحدثوا تحولاً وتغييراً في معتقدات وتوجهات الوسط الشيعي؟

لا أظنهم يستطيعون إدعاء شيء من هذا، بل على العكس من ذلك زادت حالة التحدي، ونمت بعض التوجهات المتشددة عند الشيعة كرد فعل على الوضع السائد.

وبقاء حال التشنج والقطيعة، ما عادت تحتمله ظروف البلاد، وقد صرح بذلك كبار المسؤولين في القيادة السياسية، وفي طليعتهم سمو ولي العهد، الذي بادر للدعوة إلى الحوار الوطني بين مختلف المذاهب والأطياف. وجاءت توصيات اللقاء الوطني الأول والثاني لتؤكد على هذه الحقيقة، وتدعو الجميع إلى الانصهار في بوتقة

الوطن مع الإقرار بالتنوع المذهبي والفكري.

فالتعايش هو الخيار المنطقي الصحيح، ولا بديل عنه إلا التفريط بمصلحة الوطن، وتمزيق وحدة الأمة، ومساعدة الأعداء على نيل أطماعهم ومآربهم.

والتعايش لا يتحقق إلا بالمساواة بين المواطنين في الحقوق والواجبات، وتكافؤ الفرص، دون تمييز أو تصنيف، وبالاحترام المتبادل بالتوقف عن التعبئة والتحريض من كل جهة تجاه الأخرى.

إنني أدعو نفسي وأبناء مجتمعي من الشيعة إلى ضبط الانفعالات، ومراعاة مشاعر إخوانهم من أهل السنة بمنع أي إساءة لأحد من الخلفاء وأجلاء الصحابة قد تصدر من جاهل أو مغرض منهم، وبأن ينفتحوا أكثر على الآخرين، ويتجاوزوا بعض حالات الانكفاء والانغلاق.

كما أدعو إخواني من العلماء والدعاة السلفيين، وكل الواعين والمخلصين منهم، إلى إعادة النظر في

موقفهم المتشدد تجاه إخوانهم الشيعة، والـذين لا يقلـون عـنهم حرصـاً علـى العقيـدة، والتزامـاً بالـدين، وولاءً للوطن، وإن إختلفوا معهم في بعض التفاصـيل العقديـة والفقهية، لأدلة يقتنعـون بهـا، ولاجتهـاد قـادهم إليهـا، يرونه حجة فيما بينهم وبين الله تعالى.

فينبغي الكف عن فتاوى التكفير وخطابات التحريض التي قد تصدر مـن الـبعض، واسـتبدالها بالـدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحـسن كما أمر الله تعالى في محكم كتابه.

نـسأل الله تعـالى أن يجمـع قلوبنـا علـى التقـوى، وأن يوحد صفوفنا على الخير، وأن يصون أوطاننا عـن المكـاره والأخطـار، وأن يـصلح ولاة أمورنـا، ويـوفقهم لمـا فيـه مصلحة العباد والبلاد، إنه أرحم الراحمين،

والحمد لله رب العالمين.

حوار موقع إيلاف*

الشيخ الشيعي حسن الصفار في حوار لـ(إيلاف):

متفائل بتغلب الأمة على مشكلة الخلاف المذهبي لهذه الحقائق

إمام المسجد وخطيب الحسينية لم يعودا المصدر الوحيد للمعلومات

تشكل قضية الوحدة بين المذاهب الإسلامية شيعة وسنة واحدة من أهم القضايا التي تشغل بال المسلمين منذ الأمس وإلى اليوم، ففي الوقت الذي ترفع فيه الأصوات وتدفع الجهود باتجاه الوحدة والائتلاف، تتحرك عناصر لتثير هذا الطرف ضد ذاك، أو تسعى لتشويه صورة هذا الرمز أو ذاك القائد.

---

*البحراني: بشير، آل حمادة: حسن، موقع إيلاف، الجمعة ٢١ نوفمبر ٢٠٠٣م، القطيف، عنوان الموقع: http://www.elaph.com.

هنا حوار لـ (إيلاف) مع الشيخ حسن الصفار أحد أبرز رموز الشيعة في السعودية:

في البدء حبذا لو حدثتمونا عن الفرق بين الطائفية والتدين، بمعنى ما الفرق بين أن يكون الإنسان طائفياً في تفكيره، وبين أن يكون متديناً ملتزماً بمذهبه؟

التدين هو التزام الإنسان بقيم الدين وإتباعه لأحكامه.

والطائفية تعني انحياز الإنسان غير الموضوعي لطائفته، والحيف على حقوق الطوائف الأخرى.

إن من مبادئ الدين الأساسية التي لا خلاف عليها بين المذاهب التزام العدل، وهو يعني إعطاء كل ذي حق حقه، مسلماً كان أو كافراً، فضلاً عن اختلافه المذهبي، يقول تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾، ويقول تعالى: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾.

وليس هناك مذهب من المذاهب الإسلامية يشرّع

للظلم والاعتداء على حقوق الآخرين، لتغاير الدين أو المذهب، وما يطرحه بعض المتمذهبين من آراء تحريضية ضد المخالفين لهم، هي سوء فهم، أو تعبير عن نزعات عدوانية تعصبية، أو لخدمة أغراض مصلحية لا علاقة لها بالدين والمذهب.

إلى جانب المبادرات الطيبة التي تدفع باتجاه التقارب بين المذاهب الإسلامية من السنة والشيعة هناك مؤشرات سلبية لإدامة مسلسل هذا الخلاف والنزاع في الأمة فهل أنتم متفائلون أم متشائمون على هذا الصعيد؟

إني متفائل بأن تتغلب الأمة على مشكلة الخلاف المذهبي في هذا العصر وأنطلق في تفاؤلي من الحقائق التالية:

أولاً: تنامي مستوى الإيمان والوعي بحقوق الإنسان وفي طليعتها حريته الفكرية والدينية، ذلك أن الصراعات المذهبية إنما تنبثق من وجود تصور بحق الوصاية والفرض على عقول الآخرين وأفكارهم، وأن عليهم أن يؤمنوا بهذه الفكرة، وأن يرفضوا ذلك الرأي، وأن يسلكوا هذا

النهج، وأن يتخلوا عن تلك الطريقة.

إن وجود هذه التصورات عند أتباع المذاهب تجعلهم يقفون من بعضهم البعض موقف المحاكمة والمحاسبة والتفتيش العقائدي.

بينما حين يسود الإيمان باحترام حقوق الإنسان وحريته في اختياراته الدينية والفكرية، فسوف لن يسمح أحد لنفسه بمحاولة الهيمنة والفرض على أفكار الآخرين، وذلك هو منطق العقل والشرع، يقول تعالى: ﴿لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾، ويقول تعالى: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾.

نعم هناك مجال للدعوة لما يعتقده الإنسان حقاً، وللحوار والنقد والتقويم للآراء والمذاهب في حدود الاحترام المتبادل كما يقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾.

ثانياً: توفر فرص المعرفة والانفتاح بين أتباع المذاهب من السنة والشيعة، عبر الكتب والمجلات، والقنوات

الفضائية ومواقع الإنترنت، والتواصل المباشر، وبإمكان كل طرف أن يتعرف على الآخر على حقيقته بعيداً عن التضليل والتهريج، والتعميمات النمطية.

فلم يعد إمام المسجد أو خطيب الحسينية هو المصدر الوحيد للمعلومات لكل من الطرفين عن الآخر. الأمر الذي كان يجعل الجمهور معرضاً للتعبئة والشحن الطائفي في كثير من الأحيان.

ثالثاً: خطورة التحديات التي تواجهها الأمة، والتي فرضت نفسها على الاهتمامات والمشاعر، مما يخلق وحدة في الاهتمامات لدى أبناء الأمة.

لهذه الحقائق وأمثالها أشعر بالتفاؤل وأنه قد بدأ العد التنازلي لإشكاليات الخلافات المذهبية.

لعل من أعقد مسائل الخلاف بين السنة والشيعة موقف الشيعة تجاه الخلفاء والصحابة فكيف يمكن حلّ هذه العقدة؟

ليس شرطاً لحسن العلاقة بين السنة والشيعة أن

يتنازل أي طرف عن رأيه وقناعته.

فالشيعة لهم رؤية عن موضوع الخلافة والإمامة وأنها تكون بالنص من الرسول ﷺ، ولديهم أدلتهم التي يرونها ملزمة لهم بالإيمان بذلك، ولا يجدون أنه يمكنهم التنازل عما ثبت لديهم بالأدلة العقلية والشرعية.

لكن موضوع الخلافة والخلفاء أصبح قضية تاريخية، فلماذا يكون عقبة في طريق الأمة في عصرها الحاضر، بحيث ينشغل الشيعة بإثبات رأيهم، أو يحرص السنة على تغيير رأي الشيعة فيه.

إننا لسنا مخيرين الآن بين خلافة أبي بكر وخلافة علي حتى نهتم بإقناع بعضنا بعضاً بأحد الخيارين.

لكننا على مفترق طرق فيما يرتبط بوجودنا وكرامتنا في هذا العالم، فهل نكون أو لا نكون؟

وما هو موقعنا بين الأمم في هذا العصر؟

وهذا ما يجب أن ننشغل به جميعاً لارتباطه بحياتنا ومستقبلنا.

لكن هذه الرؤية الشيعية تجاه الخلافة نتج عنها ما يزعج أهل السنة من صدور إساءات كالسب واللعن من بعض الشيعة للخلفاء وكبار الصحابة؟

إذا كان من حق الشيعة أن تكون لهم رؤيتهم وقناعتهم فليس من حقهم الإساءة إلى رموز ومقدسات الطرف الآخر، إن ذلك يشكل انحرافاً عن تعاليم الدين وآدابه، ويؤدي إلى الفتن وتخريب وحدة الأمة، من هنا نعتبر الإساءة بالسب والشتم للخلفاء الراشدين عملاً محرماً خاطئاً، لا يصدر إلا من جاهل أو مغرض. وقد تحدث ضد هذه الظاهرة السيئة كثير من أئمة الشيعة وعلمائهم المصلحين .

المشكلة أن في كتب الشيعة ومصادرهم كلاماً كثيراً فيه إساءة للخلفاء وسائر قيادات أهل السنة؟

كتب التراث السني والشيعي فيها انعكاس لحالات الخلاف والتشنج المذهبي، وهي تعبّر عن آراء أصحابها، كما أنها نتاج لبيئاتهم وعصورهم.

فلماذا نكون أسارى لكتب التراث؟ ولماذا يحاكم بعضنا بعضاً على ما ورد في كتب أسلافه؟

إن علينا أن نقرر تجاوز هذا الجانب المظلم السلبي من تراثنا سنة وشيعة، ونركز على الجانب المضيء الإيجابي منه الذي يساعدنا على إصلاح أمورنا ومعالجة مشاكلنا وتدعيم وحدتنا وألفتنا. مقولات التجريح والطعن والسب والشتم لا تقتصر على بعض كتب التراث الشيعي، بل تراها موجودة في بعض كتب التراث السني.

فمثلاً كتاب (السنة) لعبدالله بن الإمام أحمد بن حنبل (٢١٣ـ٢٩٠هـ) وقد طبع طبعات عديدة فيه فصل كامل يبلغ خمسين صفحة في ذم الإمام أبي حنيفة واستحباب بغضه ووصفه بالكفر والزندقة واتهامه بأبشع التهم، فهل يعني ذلك أن يحصل النزاع والخلاف الآن بين الأحناف والحنابلة؟ وكذلك لو راجعت كتاب طبقات الشافعية لوجدت فيه نقلاً كثيراً لتجريح وخصومات بين علماء الحنابلة والشافعية، وفي كتب الشيخ ابن تيمية كلام عنيف ضد الشيعة وضد علمائهم وزعمائهم.

فهل نعيش آثار هذه المعارك الموجودة في كتب التراث الشيعي والسني؟

ونتخذ المواقف من بعضنا البعض على أساسها؟

بعض مواقع في الإنترنت تنسب لكم شخصياً كلمات فيها إساءة لبعض الخلفاء مما يخالف نهجكم في الدعوة إلى الوحدة والتقريب بين المذاهب وتجاوز سلبيات التراث؟

يبدو أن هذه الجهات تزعجها مبادرات الوحدة والتآلف وجهود التقريب بين المسلمين، وتسيطر عليها حالة من التشنج الطائفي، لذلك تسعى إلى افتعال ما يشكك في صدقية هذه المبادرات والجهود، وليس صعباً دبلجة بعض الأشرطة والتسجيلات وإقحام شيء من العبارات فيها.

ويهمني أن أشير هنا إلى ما هو معروف من أني كنت أعيش ضمن وضع معارضة سياسية في الثمانينيات، وكانت المنطقة آنذاك تعيش تشنجاً سياسياً طائفياً بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران وأثناء الحرب العراقية

الإيرانية، وقد تكون بعض خطاباتي في تلك المرحلة، ذات طابع تعبوي في الاتجاه السياسي والمذهبي. ثم أدركنا مبكراً ضرورة تجاوز مثل هذه التوجهات، واعتماد منطق الاعتدال والتسامح والحوار والعمل البناء لمعالجة مشكلة الخلاف والتمييز الطائفي.

وقد أعلنا عن هذه التحولات الفكرية والسياسية في وقتها وكنا خارج الوطن، وتغيّرت لغة خطابنا السياسي والديني، تبعاً لتغير قناعاتنا، وأعقب ذلك حوارنا مع الحكومة وعودتنا إلى الوطن بحمد الله، وقد صدر لي في هذا السياق سنة ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م كتاب بعنوان (التعددية والحرية في الإسلام: بحث حول حرية المعتقد وتعدد المذاهب)، أعقبته كتب أخرى في سنوات لاحقة: ككتاب (التنوع والتعايش)، وكتاب (التسامح وثقافة الاختلاف)، وكتاب (رؤية حول السجال المذهبي)، (وكتاب السلم الاجتماعي مقوماته وحمايته).

كما ألقيت خطابات كثيرة في جمهور المواطنين الشيعة

في المملكة موجودة على موقعي في شبكة الإنترنت تبشّر بتوجهات الاعتدال والتسامح والتقريب، وهي تعبّر عن قناعات نؤمن بها ونعمل من أجلها.

لكن بعض المغرضين قد يبحثون عن كلمات في التعبئة السياسية والمذهبية من مرحلة سابقة، وضمن توجهات تجاوزناها فكرياً وعملياً، من أجل تشويه الصورة وتعويق مسيرة الوحدة والانفتاح.

قد لا يرى البعض هذا الخطاب الجديد بأنه نوع من التطور الإيجابي والنضج الفكري بل يفسرونه على أنه نوع من التكتيك السياسي؟

عندما يكون الحديث عن النوايا وخبايا النفوس وأعماق القلوب يتعذر الإثبات والنفي، لأنها منطقة لا يطلع عليها إلا الله سبحانه وتعالى. وكما قال رسول الله ﷺ: «هلاّ شققت عن قلبه».

وأساساً لا يحق لجهة أن تطلب من أحد إثبات صدقيته لديها، ولا نشعر بأننا مطالبون بذلك أمام أي جهة من الجهات.

لكن ومن باب تفويت الفرصة على المغرضين نقول بأن الخطاب السياسي والإعلامي يمكن تفسيره بالموقف التكتيكي المرحلي، أما الخطاب الديني الجماهيري الذي يوجهه الإنسان لجمهوره ويربي على أساسه أتباعه، ويتحمل الاعتراضات والانتقادات الداخلية عليه من قبل الأطراف المتشددة في مجتمعه، فهذا ما لا يتحمله إطار التكتيك عادة.

ما الآثار السلبية للطائفية على الوطن والمواطن؟

الطائفية خطر على كل وطن أو شعب يبتلى بها، لأنها:

أولاً: تضعف الوحدة الوطنية، وتجعل الناس يفكرون ككيانات قلقة من بعضها البعض، بدل أن ينظروا لأنفسهم كياناً واحداً.

ثانياً: تخلق أرضية النزاع والاحتراب الداخلي.

ثالثاً: يحرم الوطن من الاستفادة من الكفاءات الحقيقية لبعض أبنائه حينما يهمش دورهم ضمن المعادلة الطائفية.

رابعاً: تعطي الفرصة للأعداء للعب بهذه الورقة ضد مصلحة الوطن.

ما هي الآليات السليمة للحوار المذهبي الذي من شأنه أن يؤدي إلى الوحدة ويقضي على الطائفية؟

الآليات السليمة للحوار المذهبي أهمها ما يلي:

أولاً: الاتفاق على مبادئ للتعايش والتعاون ضمن مصلحة الأمة والوطن.

ثانياً: البحث في القواسم المشتركة ومناطق الاتفاق والتأكيد عليها والانطلاق منها.

ثالثاً: الحوار حول القضايا المختلف فيها لمعرفة أدلة كل طرف ومستندات آرائه، بعيداً عن التقولات والتفسيرات الخاطئة.

رابعاً: دراسة التحديات المعاصرة التي تواجه الإسلام والأمة وتقديم الحلول الفكرية والتشريعية لها بالاستفادة من اجتهادات مختلف المذاهب.



- الإسلامية -

Friday 15th October

نحو تقارب أفضل بين دعاة السلفية والشيعة والأباضية



نحو علاقة أفضل بين السلفيين والشيعة



الشرق الأوسط

ASHARQ AL-AWSAT

جريدة العرب الدولية

الرأي Opinion

مقالة الشيخ الصفار: ردوا التحية بمثلها

نحو علاقة أفضل بين السلفيين والشيعة*

بقلم: أحمد زمان

عنوان المقال هو عنوان للكتاب الأخير الذي أصدره سماحة الشيخ حسن الصفار إصدار دار الواحة للطباعة والنشر والتوزيع اللبنانية لهذا العام ٢٠٠٤م.

مؤلف هذا الكتاب سماحة الشيخ حسن الصفار غني عن التعريف فهو أحد علماء الدين الشيعة في المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية، وهو من العلماء والكتاب المعتدلين، تدل على ذلك كتبه الكثيرة في هذا الصدد ومنها «التعددية والحرية في الإسلام: بحث حول حرية المعتقد وتعدد المذاهب» ومنها «التنوع والتعايش» ومنها «التسامح وثقافة الاختلاف» وكتاب «رؤية حول

---

* جريدة الأيام البحرينية، العدد ٥٦٧٠، الاثنين ٢٨ رجب ١٤٢٥هـ ـ ١٣سبتمبر ٢٠٠٤م.

السجال المذهبي» وكتاب«السلم الاجتماعي.. مقوماته وحمايته» وهي كتب صدرت لهذا الشيخ الجليل منذ ١٩٨٩ وما تلاه، وهي تدل على اعتداله ونبذه للفرقة ودعوته إلى الوحدة والائتلاف بين الفرق والطوائف والمذاهب الإسلامية.

يقول الشيخ حسن الصفار في مقدمة كتابه: «ربما يستبعد كثيرون إمكانية تحسن العلاقة بين السلفيين والشيعة، لما بين الطرفين من اختلاف وتضاد في مسائل عقدية حساسة، ولوجود تاريخ مثقل بالمشاحنات بينهما، لكنني اشعر بدرجة من الأمل والتفاؤل على هذا الصعيد، فهناك تطور فكري ثقافي ملحوظ عند مختلف الأطراف الإسلامية يجعلها أقرب إلى القبول بوجود الرأي الآخر والتعامل معه، مهما كانت درجة الاختلاف والتباين، مع التزام كل طرف بثوابته وقناعاته، كما أن ضخامة التحديات التي تواجها الأمة يفترض أن تدفع الواعين من الطرفين لتجميد الخلافات على الأقل، أن لم يكن تجاوزها».

ويؤكد الشيخ حسن الصفار في كتابه إن الأمة

الإسلامية تعافت من كثير من جراحات الخصام الفكري والمذهبي التي أصابت كيانها في غابر التاريخ كالصراع بين الجبرية والقدرية، وبين المرجئة ومخالفيهم، وبين الأشاعرة والمعتزلة، هذه الصراعات التي كانت حادة في قرون سابقة تجاوزتها الأمة وأصبحت مجرد حوادث وذكريات في التاريخ، وبقي الخلاف السني الشيعي كأوسع ثغرة في جدار الوحدة الإسلامية تنفذ منه رياح الفتن وتتسلل مطامع الأعداء ومؤامراتهم.

كما يؤكد بأن العلماء المصلحون من السنة والشيعة تحركوا مطلع هذا القرن لسد هذه الثغرة الخطيرة المتبقية، وكان من مظاهر هذا التحرك الإصلاحي تأسيس دار التقريب بين المذاهب الإسلامية في القاهرة في الخمسينيات وإنتاج خطاب وحدوي يؤكد على القواسم المشتركة، ويحرر محل النزاع ضمن إطار الخلاف الاجتهادي عقدياً وفقهياً.

ويتساءل الشيخ الصفار في كتابه، أليس من المثير للدهشة والاستغراب أن نرى تسارع خطوات التقارب والتنسيق بين اليهود والمسيحيين وهم أهل ديانتين

متصارعتين بينهم خلاف عقائدي عميق وصراع تاريخي طويل، لكنهم يتجاوزون كل ذلك ويتعاونون تجاه ما يرونه خطراً مشتركاً، بينما نعجز نحن المسلمين عن تجاوز خلافاتنا والاقتراب من بعضنا ونحن أهل دين واحد ونبي واحد وبيننا هذا القدر الكبير من القواسم المشتركة ونواجه التحديات والأخطار العاصفة؟!

ويضرب الكاتب مثالاً لنموذج علاقة حميمية بين شيخ سلفي هو الشيخ زهير الشاويش الدمشقي مع الشيخ الشيعي المعروف محمد مهدي شمس الدين الذي توفي قبل ثلاث سنوات وكانت تربطهما علاقة جوار ومحبة حتى إن الشيخ زهير الشاويش كتب مقدمة طويلة لآخر كتاب للشيخ شمس الدين تحدث عن العلاقة بينهما وانطباعاته الايجابية عن شخصية الشيخ محمد مهدي شمس الدين وعنوان هذا الكتاب (في الاجتماع المدني الإسلامي- أحكام الجوار في الشريعة الإسلامية).

ويؤكد الشيخ الصفار في كتابه على حقيقة هامة وهي انه مهما كانت إشكاليات السلفيين على الشيعة،

وإشكاليات الشيعة على السلفيين، فإن الجميع يعيشون في منطقة واحدة ولا يستطيع أحد الطرفين إبادة الآخر، ولا أظن انه يفكر في ذلك، وهم جميعاً أهل هذه الأرض، وأبناء ترابها، لا يحق لأحدهما المزايدة على الآخر في الأصالة وعمق الانتماء.

كما انه يشيد بمبادرات ولي العهد السعودي الأمير عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود للدعوة إلى الحوار الوطني بالمملكة العربية السعودية حيث جاءت توصيات اللقاء الوطني الأول والثاني لتؤكد على هذه الحقيقة، وتدعو الجميع إلى الانصهار في بوتقة الوطن مع الإقرار بالتنوع المذهبي والفكري.

وفي سياق دعوته إلى الألفة والتقارب فإنه يدعو إخوانه الشيعة إلى ضبط انفعالاتهم ومراعاة مشاعر إخوانهم من أهل السنة بمنع أي إساءة لأحد من الخلفاء الراشدين وأجلاء الصحابة، كما انه يدعو إخوانه من العلماء والدعاة السلفيين إلى إعادة النظر في موقفهم المتشدد تجاه إخوانهم الشيعة والذين لا يقلون عنهم حرصاً على العقيدة والتزاماً بالدين، كما انه يدعو

الجميع إلى الكف عن فتاوى التكفير وخطابات التحريض التي قد تصدر من البعض واستبدالها بالدعوة إلى الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة.

وما ذكرته مختصر شديد لكتاب سماحة الشيخ حسن الصفار الأخير «نحو علاقة أفضل بين السلفيين والشيعة» وهو كتاب يستحق أن يقرأه كل شيعي وكل سني وخاصة إخواننا السلفيين.

والله من وراء القصد.

نحو تقارب أفضل بين دعاة السلفية والشيعة والأباضية*

بقلم: عبدالله آل سيف

هناك دعوة خالصة لله حمل لواءها الشيخ حسن موسى الصفار المواطن السعودي والذي ينتمي إلى المنطقة الشرقية هذه الدعوة هي دعوة إيمان ودعوة مواطنة حقة ودعوة خالصة لله تعالى وهي دعوة فهم أفضل بين أبناء الدين الواحد وهم السلفيين والشيعة.

فكم سفكت من دماء وكم هتكت من أعراض وكم هدمت من مساجد ومقامات إسلامية وكم نهبت من دور عبادة بل وأحرقت نتيجة لأفكار وآراء متشددة عمياء ذات دوافع شيطانية إلا أنها للأسف تضفي على نفسها صفة الإسلام، إمعانا في الإساءة إلى هذا الدين القويم وما

* جريدة الأيام البحرينية، العدد ٥٧٠٠، الجمعة ١ رمضان ١٤٢٥هـ ـ ١٥ أكتوبر ٢٠٠٤م.

يحدث في البلد المسلم باكستان ليس ببعيد.

إنها إرادة الله التي أوجدت أدياننا متعددة ومذاهب شتى منها ما يدعو إلى الله ومنها ما يدعو إلى الله والى غير الله ومنها ما يدعو إلى الشيطان، وهذه إرادة الشياطين. إنها إرادة الله التي أوجدت الإسلام، دين الفطرة ودين التسامح ودين الوسطية، ودين الاعتدال، ودين التطور والمدنية والحضارة هذا الدين الذي عاش في العصور الوسطى حيث عهد النبوة والخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين والفاطميين والأيوبيين والمماليك والأتابكة، حتى العصر الحديث حيث الدولة العثمانية والى يومنا هذا حيث العصرنة والحداثة وعصر دولة المؤسسات.

انه دين لكل زمان ومكان ولكل شعوب وأمم العالم ولم يضق صدره قط بالآخرين، وإنما ضاقت صدور بعض من حملوه ويحملونه.

ضاقت صدور من تمسكوا بالقشور وتركوا اللباب، تمسكوا بالمظهر وتركوا الجوهر

ولو تمسكوا بروح الإسلام وأهدافه السامية التي

غرسها النبي محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم حيث يأتيه الكافر أو المشرك فينطق بالشهادتين «لا إله إلا الله، محمد رسول الله» فيعتبره مسلما، له ما للمسلمين وعليه ما عليهم، لاحظ قارئي الكريم أن هذا الرجل أو تلك المرأة يدخلان في حياض الإسلام وفي كنف الإسلام قبل أن يتعلما الصلاة أو أحكام الصيام أو أداء مناسك الحج أو أداء الزكاة ويقول رسول الرحمة والمحبة والألفة والتسامح نحن علينا الظاهر أما الباطن وأما ما في القلوب، وأما ما في السرائر فيتركه لله جلت قدرته وجلت حكمته.

هكذا نما الإسلام وترعرع، بهذه الروح التي تجمع ولا تفرق وتوحد ولا تنفر.

كان بإمكان النبي الكريم أن يثأر وينتقم ويقتص ممن آذوه وأذلوه وحاربوه وقتلوا أهله وأصحابه وأحبائه حيث كان بمقدوره أن ينتقم من مشركي قريش إلا انه لأنه نبي الله، نبي التسامح، نبي الرحمة والإنسانية فقد قال لهم روحي له الفداء: اذهبوا فانتم الطلقاء، اذهبوا لا تثريب

عليكم اليوم، اذهبوا فإن الإسلام يجب ما قبله، والإيمان درجات ولأجل ذلك قال فليعمل العاملون.

وهذا الخلق هو ما يحاول أن يسير عليه شيخنا الجليل حسن موسى الصفار الذي أطلق دعوته للتقارب بين السلفيين والشيعة وليت سماحته دعا أيضا إلى التقارب بين إخوتنا في الإسلام أباضية عمان الشقيق لأن الإسلام لن ولن يقوم إلا على هذه الطوائف الثلاث وهي السنة بما فيهم من سلفيين الذين يمثلون مادة الإسلام وجسده والشيعة الذين يمثلون جناحه الأيمن والأباضية الذين يمثلون جناحه الأيسر، ولن يطير طائر دون جناحيه.

نعم أيها القارئ الكريم إن إمكانية تحسن العلاقة بين إخوة الإسلام وخصوصا بين السلفيين والشيعة والأباضية ممكن وليس على الله وعلى محبي هذه الأمة أحباب الله ورسوله والمؤمنين، ببعيد وذلك إذا ترك كل طرف التعصب البغيض والصرامة والتشدد والمشاحنات، وليتحاوروا بالتي هي أحسن، وليتناقشوا بالتي هي أحسن، وليتجادلوا من خلال أدب الحوار وأدب النقاش

وأدب المجادلة وليبعدوا الشيطان عن إطارهم وليضعوا الله جلت قدرته نصب أعينهم، لأني اعتقد كل عمل خير وكل دعوة خير وكل فعل خير هو من الله جل وعلا وكل تكفير وكل إقصاء وكل إثارة طائفية وكل تحقير وكل تمييز وكل نظرة دونية هي أفعال وأقوال شيطانية ومن النفس الأمارة بالسوء فيا أيها المسلم الغيور على دينك اتق الله في ربك واتق الله في نبيك واتق الله في آل نبيك واتق الله في أصحاب نبيك واتق الله في أمتك واتق الله في وطنك ولا تدعو إلا إلى الخير والمحبة والتفاهم والتقارب والوئام لأنها دعوات يباركها الله ورسوله والمؤمنون.

وعليك أيها المسلم الغيور على دينك أن تدعو إلى ما دعا إليه سماحة الشيخ حسن موسى الصفار، وتيقن أن أي دعوة مخالفة لهذا التوجه فهي دعوة إلى الشيطان، ودعوى خارجة على حدود الله ومآلها إلى الفشل.

اللهم اجعلنا من الداعين إلى التقارب بين أبناء الأمة الواحدة كما فعل شيخنا الجليل حسن الصفار آمين يا رب العالمين.

مقالة الشيخ الصفار
رد التحية بمثلها*

بقلم: الدكتور عبدالحميد الأنصاري
عميد كلية الشريعة والقانون – سابقاً – قطر

مقالة الشيخ حسن الصفار «نحو علاقة أفضل بين السلفيين والشيعة»، «الشرق الأوسط» ٢٠٠٤/٢/٢٢م من أجمل ما اطلعت عليه في هذه القضية الحيوية، قضية السنة والشيعة أو بالأحرى (بين السلفيين والشيعة) وبوصفي احد المعنيين، بل المهمومين بالخلاف السني الشيعي، أدعو جميع الأطراف إلى مطالعة هذه المقالة، إذ هي ورقة عمل رائعة تضع أسسا عملية محددة وواضحة، لما ينبغي أن تكون عليه العلاقة بين المذهبين أو الطائفتين الكبيرتين.

---

* جريدة الشرق الأوسط، العدد ٩٢١٩، الثلاثاء ٣ محرم ١٤٢٥هـ ـ ٢٤ فبراير ٢٠٠٤م.

ومع كامل تأييدي لما جاء في المقالة، أتمنى أن اقرأ ردا ايجابيا من قبل أحد الإخوة السلفيين من باب﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾

صدر للمؤلف

١- الصوم مدرسة الإيمان.
٢- ولكل أمة رسول.
٣- الرسول طريق إلى القمّة.
٤- الحسين ومسؤولية الثورة.
٥- أئمة أهل البيت رسالة وجهاد.
٦- الإمام المهدي أمل الشعوب.
٧- مسؤولية الشباب.
٨- المرأة مسؤولية وموقف.
٩- المرأة والثورة.
١٠- مسؤولية المرأة.
١١- الإمام الحسين رمز التضحية والفداء.
١٢- رؤى الحياة في نهج البلاغة.
١٣- حياة الأئمة والتاريخ المزيف.
١٤- رمضان برنامج رسالي.
١٥- قراءة في فكر الإمام الخميني.
١٦- أعلنا الولاء بالدم.
١٧- بصائر وهدى.
١٨- السجن أحب إليّ.
١٩- الشعب يتحدّى السجون.
٢٠- الثورة والإرهاب.

٤٨- الشيخ محمد أمين زين الدين: تجربة في الإصلاح دون حضور الذات.
٤٩- الكوارث ومسؤولية المجتمع: حديث في أربعين فاجعة القديح الأليمة.
٥٠- العمل والفاعلية طريق التقدم.
٥١- شهر رمضان والانفتاح على الذات.
٥٢- أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد الأول).
٥٣- أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد الثاني).
٥٤- أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد الثالث).
٥٥- أحاديث في الدين والثقافة والاجتماع (المجلد الرابع).
٥٦- الإمام المهدي وبشائر الأمل.
٥٧- الإمام الحسن ونهج البناء الاجتماعي.
٥٨- كيف نقهر الوسواس.
٥٩- شخصية المرأة بين رؤية الإسلام وواقع المسلمين.
٦٠- إحياء المناسبات الدينية بين الواقع والطموح.
٦١- الإمام الشيرازي ملامح الشخصية وسمات الفكر.
٦٢- رؤية حول السجال المذهبي.
٦٣- السلم الاجتماعي ـ مقوماته وحمايته.
٦٤- بناء الشخصية ومواجهة التحديات.
٦٥- عن اللقاء الوطني للحوار الفكري.
٦٦- الإمام علي عليه السلام ونهج المساواة.
٦٧- الحوار والانفتاح على الآخر.
٦٨- التسامح وثقافة الاختلاف ـ رؤى في بناء المجتمع وتنمية العلاقات.
٦٩- فقه الأسرة: بحوث في الفقه (المقارن) والاجتماع.
٧٠- نحو علاقة أفضل بين السلفيين والشيعة (بين يدي القارئ).
٧١- النادي الرياضي والمجتمع.
٧٢- الزواج أغراضه وأحكامه.

المحتويات

عنوان المؤلف

المملكة العربية السعودية
ص.ب: ١٣٢٢ القطيف ٣١٩١١
هاتف: ٨٥٥٥٢١٠ ٣ ٩٦٦+
فاكس: ٨٥١٢٦٠٠ ٣ ٩٦٦+
الموقع على الإنترنت: www.saffar.org
البريد الإلكتروني: office@saffar.org